بها على الطاعة لله تعالى ولاجل ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما
اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك من الاخرة ان
يتوصل اليه بما اتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى تنبيه
عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل
المسئلة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة
ويقنع بما اباح له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل بذلك راحة نفسه والاستغناء عن
بني جنسه ويحصل له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك
اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوي عنه من
الدنيا ابتلي باحد وجهين اما بحرص مع فقر ينقطع به حسرات او رغبة في غنى ينسيه
شكر ما انعم الله عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس وغنى النفس عن الدنيا شرف الاولياء المختارين وعز اهل
التقوى من المومنين المحسنين ولقد صدق الشاعر غنى النفس ما يكفيك من سد خلة
فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا وحكي عن بنان الحمال انه قال كنت طاويا واسطو وجا على
باب بني شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنوديت في سري يا بنان من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في خراب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة
فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما
نظرت الي قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحمك الله فعجبت
من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت اما الذي جاء بك ها هنا قلت جئت لتعظيني فقالت
واعجبا لواعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه
الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له عند الله تعالى نصيب عاتبه وحيا في سره
فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل
طاعتي في ارضي فاشتغلت بعرض من اعراض الدنيا وتركتني فاورثتك بذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه
من نفسك قال ثم تركتني وولت عني فما نظرت وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون
ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابراهيم اسحاق بن
ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي في كتاب النصائح له عن ابي عبد الله الشامي ثم الدمشقي انه
كان من اكبر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا فامسى الى جانب نهر ومعي نفر له قال فسمعت

صوتا

صوتا بكثرة حمد الله تعالى في ناحية المرج فاتبعته فاذا فيه رجل ملفوفا في حصير فسلمت
عليه فقلت له من انت يا عبد الله فقال رجل من المسلمين فقلت له ما حالك هذه فقال حال نعمة
يجب علي حمد الله عليها فقلت وكيف وانما انت في حصير فقال ومالي لا احمد الله وقد
خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي في الاسلام والبسني العافية في الاركان
وستر علي ما اكره ذكره ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له
ان رايت رحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر ها هنا قال ولم قلت
لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي فيه حاجة فراودته
على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت الي نفسي ومقتها اذ لم اخلف رجلا
بدمشق يكاثرني في الغنى وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما انا
فيه فبت ولا يعلم اعواني ما اجمعت عليه فلما كان السحر رحلوا كنحو رحلتهم
فيما مضى وقدموا الي دابتي فصرفتها الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التوبة
ان مضيت الى متجري فسالت القوم فاخبرتهم فعاتبوني على المضي فابيت
فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال يفرقه في سبيل الخير حتى
افتقر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن زاد غير ابي ابراهيم وكان يقول يا عبد
ربه المتوكل والله لو ان نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه
ولا اخذت شيئا منه ولو قيل لي من مس هذا العود مات لمسسته رغبة نفسه
شوقا الى الله ورسوله لتعلم ان ما تفرح به نقلا ما تحزن عليه درء المفاسد اهم
عند العقلا من جلب المصالح فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا
ورضي بذلك وقنع منها باليسير ولم يطمع الى زيادة من مال او جاه فهو
كامل العقل حسن النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود
الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض
من ذلك الراحة الدائمة كما قيل ومن سره ان لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا فان صلاح المرء يرجع كله
فسادا اذا الانسان جاز به الحد وقيل لبعضهم الا تغتم فقال الى كم
اقتني ما يغمني فقده فالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان
كثيرا فكثير كما قيل على قدر ما تولع بالشي حزنه ويصعب نزع السهم
يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجوهر لم ير له نظير ففرح
الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكما عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة